كأنكم خشبٌ جوفٌ أسافلـــهُ مثقَّبُ فيه أرواحُ الأعاصير[1]

ونحن نعرف أن القرآن الكريم وصف أقواماً كأنهم خشب مسندة كبار الأجسام صغار الأحلام . ولكنّ هذا كله ليس فيه من أمر الدين شيء ، وهو حين يتناول الدين الجديد وأعداءه يقول :

هجوْتَ محمداً فأجبت عنه وعند الله فى ذاك الجزاء[2]
أتهجوه ولستَ له بـــكفْء فشركما لخـــيْركمـــا الفـــداء
هجوْتَ مباركاً برًّا حنيفـــاً أمينَ الله شيمتـــهُ الوَفاءُ
فمنْ يهجو رسول الله منكم ويمدحـــهُ وينصرُه ســـوَاء
فإن أبى ووالـــدَهُ وعرْضى لعرْض محمد منـــكم وقاء

وفى هذه الأبيات من المديح والحب للرسول الأعظم ما يجوز حدّ الوفاء والإخلاص . بحيث يضع كلّ شيء فداء له . فيعدّد ما يملك العربى من والد وولد وعرض وقاء للنبى . وهو حين يهجو أبا سفيان يصمه بما كان يصم الجاهليون خصومهم كذلك . فيجعله دعيًّا نيط فى آل هاشم ، ويقول إنه هجين ليس يورى له زَند . ويرمى المغيرة بنَ شعبة بأنه ترك الدينَ والإيمان جهلا . فهو يتبع فى هجائه الدينى ما كان يقوله الهجاءون قبله من صور قديمة كما قلنا . ومثله كعب بن زهير حين افتخر ونافس وهجا غيره ، فلم يصنع شيئاً كثيراً فى الهجاء الدينى .

هذا صدر الإسلام قد عج بالحرب الكلامية فكان هجاء دينى بين المشركين والمسلمين استعر أواره وحميَ وطيسه فقال كل فريق يؤيد مذهبه على طريقة الجاهلية كما رأينا . فلما كان العصر الأموى انصرف الهجاء إلى تأييد المُلك أو معارضته فكان هجاء سياسى تحدثنا فيه وبسطنا أمره فى غير هذا المكان . ولكن الأخطل رسم صوراً جريئة سخر فيها من شعائر الدين فقال :

ولست بصائم رَمضَان طوْعاً ولستُ بآكل لحم الأضَاحى

---

(١) مثقب : مخرق ، الأعاصير : ج إعصار وهو الرياح تثير الغبار .
(٢) الجزاء : المكافأة .